

# المسلمون في الصين

## وعددهم يتجاوز خمسين مليوناً

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

### المقدمة:

لقد وقع بصري على كتاب من تأليف الدكتور ضياء الدين سردار، وفيه بعض مذكراته، فأعجبني غاية الإعجاب، ويؤسفني أني نسيت عنوانه، بحكم تقدمي في السن، اذ تجاوزت الثمانين، وقد سبق للشاعر الجاهلي زهير ان قال: «ومن يعيش ثمانين حولاً لا أبالك يسأم»، أما الآن فقد اطلعت على كتاب آخر من تأليفه وهو بعنوان «البحث الشاق عن الجنة»، وهو الآخر يقوم على مذكراته، ويحمل تاريخ سنة ٢٠٠٥م، فبادرت بقراءته قراءة متواصلة حتى اكملته -والحمد لله- وهو كتاب يركز على العقائد الاسلامية وما تتعرض له من أخذ ورد، وعلى أحوال المسلمين في عدد من اقطار العالم.

المناسبة، لا سيما في حقل الاعلام والصحافة، كما تولى وظائف تعليمية في بعض الجامعات، ومنها جامعة جدة «السعودية».

وقد صنف عدداً يناهز (٤٠) كتاباً، في مختلف المواضيع، كما انه يعد من المفكرين

وقبل ان اتناول الكتاب، يهمني التعريف بمؤلفه مستقى من كتابه، انه ولد في سنة ١٩٥١، في الباكستان، غير ان عائلته هاجرت مبكراً الى بريطانيا، وفيها تمت دراسته منذ الطفولة، حتى نال الدكتوراه، وتخللت الدراسة قيامه ببعض الاعمال

لبحوث التاريخ الاسلامي» التابع لمنظمة اتحاد الدول الاسلامية (انظر الكتاب ص ٢٧٠).

ثم انه شغل مناصب جامعية ومنها جامعة «جدة» السعودية حيث قضى خمس سنوات فيها، كما انه يتمتع بسمعة جامعية عالية، ويشغل مراكز تعليمية في عدد من الجامعات البريطانية، حتى ان احدى الجامعات اختارته ممتحناً خارجياً لطالبة، للحصول على درجة الدكتوراه، مما يؤكد علو مكانته العلمية.

اما الكتاب، فقد تضمن تفاصيل زيارته للعديد من الاقطار الاسلامية، وسجل ملاحظاته عنها من وجهة النظر الاسلامية، وما لقي من تعاون ومن صعوبات في تلك الاقطار، ومنها ايران والباكستان والسعودية، مما خصها بتفاصيل، غير ان ما لفت نظري فيه هو الفقرة التي تناولت زيارته للصين (ص ٢٣٠-٢٤٨)، اذ زار مدينة «شايونغ» التي انعقد فيها مؤتمر يمثل جميع مسلمي الصين، ويتناول مشاكلهم، ولكنه يستدرك ويقول: ان مسلمي الصين لا يجابهون اية مشاكل تذكر «كما اكد له ممثلوهم» خلافاً لما كان عليه الحال، في ايام الثورة الثقافية، عندما كان جميع اتباع الديانات معرضين لعدوان «الحرس الاحمر» اذ كان

الاسلاميين، ولهذا السبب فإنه أسس، أو انضم الى كثير من المؤسسات الاسلامية التي هدفها نشر مبادئ الاسلام القائمة على السلام والتعاون ليس بين المسلمين فحسب، بل مع كل من يستهدف التعاون لجعل العالم مثابة للتسامح والأمن.

حتى ان احدى الصحف البريطانية وصفته بأنه باحث في اهمية المجالات الروحية، ثم ان كتابه يلقي الضوء على التاريخ الاسلامي، وتعريف الغربيين بإنجازات المسلمين العلمية «وهو ما ذكرته جريدة هيرالد» اما «الفايننشيل تايمس» فقالت معلقة على كتابه هذا: انه رغم كونه يخص المسلمين، الا انه يلقي الضوء على انجازاتهم الماضية، ويضعها بين ايدي غير المسلمين.

واما جريدة «الملحق الثقافي لجريدة تايمس» فقد وصفت الدكتور سردار ليس فقط باتساع علمه في الموضوع الذي عالجه فحسب، فإنه «اي المؤلف» ينم على اتساع اطلاعه في الموضوع الذي تناوله، وهو من اكبر المؤلفين المحيطين بمبادئ الاسلام في الوقت الحاضر، كما ان له نشاطاً ملموساً في عدد من المؤسسات والمنظمات الاسلامية، ومن ذلك انه صار زائراً مستمراً لتركيا منذ عام ١٩٨٠م، اذ تم اختياره عضواً في «المركز الدولي

في حجتى الثالثة سنة ١٩٥٢، والرابعة في سنة ١٩٧٥، عندما كنت استاذاً في جامعة الرياض.

هذا وقد تخلل المؤتمر نشاطات جانبية، ومنها حفلات الطعام الانيقة (ص٣٢٩-٣٣٠) وزيارة المدينة المحرمة، وسور الصين، علاوة على أداء الصلوات في المسجد، ولا سيما صلاة الجمعة التي تولى الخطابة والامامة فيها، الشيخ سليمان، رئيس المؤتمر، وقد ضمن خطبة الجمعة معلومات عن الوجود الاسلامي في الصين تاريخاً وحاضراً، وقال: ان المسلمين قدموا لأول مرة الى الصين عقب ظهور الاسلام بمئة سنة، وان ذلك مشاهد في شواهد القبور القديمة التي لا زالت موجودة في مدينة «كوانزهو».

وهذا انا «سامي الصقار» أؤيده لأنني عندما كانت مديراً لشؤون العلاقات مع البلاد العربية، في وزارة الخارجية العراقية، فاجأني سنة ١٩٥٩ بزيارته مستشار السفارة الصينية في بغداد، رغم انني لا علاقة لي رسمية مع الصين، فرحبت به وقال لي: انه علم باهتمامي «بحكم تخصصي بالتاريخ الاسلامي» بأمور المسلمين في العالم، فأراد ان يزودني بشيء عن تاريخ المسلمين في الصين، وعندها سلمني مظروفاً يحتوي

المسلمون مثلاً يمنعون من العناية بمساجدهم، ولا يسمح لهم بأداء فريضة الحج، اما بعد ذلك فقد اصبحوا احراراً في ممارسة عبادات أديانهم ما داموا لا يتعرضون بسوء لإدارات الحكومة الصينية، لكن الوضع لم يخل من بعض المعكرات في حالات الزواج وأمثاله.

وقد حضر الدكتور سردار جلسات المؤتمر الاسلامي الصيني، وشهد تسامح الحكومة الصينية مع مسلميها بعقد ذلك المؤتمر لبحث الامور التي تهمهم، فيما يتعلق بالشؤون الدينية، وقد لاحظ الأخ سردار ان اولئك المسلمين جميعاً هم من اهل السنة الذين يتبعون المذهب الحنفي، وان كثيراً منهم ينتمون الى الطرق الصوفية التي يعتبرونها منسوبة الى النبي ﷺ، وفق سلسلة من الرواة، ومما لاحظته ايضاً ان المسلمين من السنيين وكذلك الشيعة، يتحدثون كلهم العربية بطلاقة، وهذا يعيد الى ذاكرتي عندما كنت قائماً بأعمال السفارة العراقية في جدة، في السنوات ١٩٤٦-١٩٤٧، اذ لاحظت وصول دبلوماسي من موظفي المثلثية الدبلوماسية الصينية في القاهرة، في موسم حج السنتين المذكورتين الى جدة ليساعد حجاج بلاده، ولفت نظري تمكنه من العربية بطلاقة، ولكن لم ألاحظ وجوده

ثم اشار الى فترة «الثورة الثقافية» التي استمرت عشر سنوات، قاسى خلالها المسلمون معاملة في غاية السوء، حيث أغلقت رابطة المسلمين الصينيين، التي انشئت عام ١٩٥١م.

اما الآن فإن المسلمين يتمتعون بالحرية، كما استعادوا رابطتهم بمبانيها، ومنها المدرسة الاسلامية التي كان الملك فؤاد ملك مصر، قد تبرع بإنشائها (١)، ثم هناك المعهد الاسلامي في جامعة «بيجن» العاصمة الذي أسس سنة ١٩٨٢، ثم استطرد الخطيب الى القول: ان جامعات العاصمة الثماني تضم كل منها قسماً لدراسة اللغة العربية التي صارت تدرس ايضاً في عدة معاهد لغوية، لذلك ليس غريباً ان تجد الشبيبة المسلمة كلها تجيد اللغة العربية (ص ٢٣١-٢٣٣).

وقد وصف الدكتور سردار الجامع الذي كان تأسيسه سنة ١٩٩٦م، وقال: انه له مئذنتين لكل منهما شرفتان، وبينهما قبة ضخمة، ولهذا الجامع ساحة أمامية واسعة، والى جانبها مبنى ضخم، ثم قال: ان بيت الصلاة له روعة، وقد ازدحم بالمصلين، وخاصة من الشباب الذين جاءوا الى العاصمة للدراسة في الاقسام المخصصة للغة العربية، ولدى سؤاله اياهم عن سبب اختيارهم لدراسة اللغة العربية،

على صور لشواهد القبور في بلاده، وقد وجدتها فعلاً كما قال الدكتور سردار، ويرجع القديم منها الى أوائل القرن الثاني والثالث من تاريخ الهجرة.

ولاحظت ان غالبية اصحاب تلك القبور من مواطني حضرموت، ولذلك ما ذكره الشيخ سليمان هو حقيقة لا خلاف فيها، ثم ان مسلمي جنوب الجزيرة العربية، قد اصلوا الهجرة والمتاجرة مع جنوب غربي الصين، وان المسلمين قد تعلموا صناعة الورق من الصينيين، وحملوا تلك الصناعة الى سمرقند، ثم الى الشرق الاوسط، وخاصة الى بغداد، ومنها نقلت تلك الصناعة الى الشمال الافريقي، ثم الى الاندلس، ومن هناك دخلت الى اوروبا.

**ولنعد الى خطبة الشيخ سليمان، حيث انتقل الى التاريخ المعاصر، فقال: ان عدد المسلمين في الصين يبلغ (٦٠) مليوناً وان العاصمة تحوي (٥٠) مسجداً، وتنتشر فيها حوانيت بيع لحوم الغنم المذبوحة حسب الشريعة الاسلامية، وتباع في شارع تسوده مساكن المسلمين، وتبرز فيه المباني العالية، ثم قال: ان الحاج عبد الرحيم الهوريني، كان قد أنشأ أول مدرسة في العاصمة سنة ١٦٠٩م، وان مسلماً آخر هو جمال الدين، أنشأ فيها اول مرصد فلكي، وهو لا يزال الى اليوم قائماً ومستخدماً.**

بنائه، وكان دليله في هذه المرحلة امام الجامع الحاج نور الدين الذي استضافه وأسكنه في بيته «وهو بغرفتين» لسكناه وزوجته وابنته البالغة اربع سنوات، وقد وجدهم كلهم يحسنون العربية، وقضى في هذا المنزل اسبوعاً ثم تحول الى قرية أخرى، وهي لا تختلف عن الأولى في كل شيء.

والجدير ان الدكتور سردار كان يُدعى في كل يوم من جانب اهل القرية، ليتناول طعام العشاء ومعه امام المسجد، وقد لاحظ ان الحديث اثناء هذه الزيارات، كان يركز على رغبة المسلمين في اتباع احكام الشريعة الاسلامية، مما يؤكد على التزام مسلمي الصين بأحكام الاسلام قدر المستطاع (ص ٢٣٨-٢٤٠).

#### ❖ مسلمون آخرون تحت الحكم الصيني:

ان مقالتي في الاساس يتركز على مسلمي الصين، الذين هم من اصل صيني ويعشون في العاصمة وفي المناطق الجنوبية بالدرجة الأولى، غير ان هناك مسلمين في اقاليم اخرى احتلتها الصين، واعني بلاد الايغوريين، الذين كانت عاصمتهم كاشغر، وهي في اقصى الشمال الغربي.

كان جوابهم لأنها لغة القرآن الكريم، الذي يبين الاحكام الشرعية الاسلامية.

وقد وجد بينهم شابة شاركت في جميع المناقشات التي أثيرت في قاعة المؤتمر (ص ٢٣٥) وقد علم الدكتور سردار بأن المسلمين منذ ١٩٧٨ قد شيدوا (٢٢٠٠) جامع في المنطقة التي يقطنها المسلمون، جامع في كل قرية يزيد عدد سكانها على (١٠٠٠) نسمة (ص ٢٣٣) ويحتاج كل منها الى إمام يحسن العربية وتفسير القرآن الكريم والأحكام الشرعية التي يرغب المسلمون في تطبيقها.

ثم قرر الدكتور سردار ان يقضي بعض الوقت في القرى الاسلامية، للوقوف على مدى التزام القرويين بأحكام الاسلام، فلما انتهت اعمال المؤتمر تحول الدكتور الى احدى القرى ليكون ضيفاً لقروي مسلم، بعد ان اكمل زيارته للأحياء الاسلامية في العاصمة، بما في ذلك مقبرات الطرق الصوفية والمدارس الاسلامية (ص ٢٣٨-٢٣٩)، واختيرت له قريتان لا تبعدان عن العاصمة الصينية سوى (٣٥) كيلو متراً.

وكان هناك جامع في كل منهما، أولهما يرجع تاريخ بنائه الى القرن الخامس عشر الميلادي، ولكنه دمر اثناء حكم «الثورة الثقافية» ولهذا قام أهل القرية بإعادة

المسافة بين المنطقتين يحول دون امكان مسلمي العاصمة والاقليم الجنوبي، من دعم اخوانهم الايغوريين، خاصة وان حكومة الصين تتبنى سياسة التهجير، حتى ان سكان هذا الاقليم كما اسلفنا قد تناقصت نسبتهم الى المهاجرين الى ما يقل عن النصف، وهكذا نحن في مواجهة فلسطين اخرى والمشتكى الى الله سبحانه وببيده مقاليد الأمور.

#### المصادر:

١- كتاب الدكتور سردار، ضياء الدين، وهو بالانجليزية بعنوان «Desperately Seeking Paradisw London 2005».

٢- كتاب تأليف آلان ساما غالسكي، وهو بالانجليزية ايضاً بعنوان «China, 2», Edition, Brekey, U.S.A, 1988.

٣- أ. د. سامي الصقار، مقال بعنوان «الأيغوريين»، مجلة هدي الاسلام، العدد الثالث ٢٠١١.

**الهامش ١:** يبدو انها كانت اول مدرسة تقام في العاصمة، وقد ارسلت حكومة العراق الشيخ جلال الحنفي للتدريس فيها في سنة ١٩٥٩.

وقد فتحها المسلمون في العهد الاموي، يوم فتحوا «بخارى وسمرقند وغيرها» غير ان الحكومة الصينية قد غيرت اسم المنطقة وحولته الى «سكيانغ» وفتحته لهجرة الصينيين من سكان المناطق الاخرى حتى زاد عدد المهاجرين على عدد المواطنين الاصليين، اذ اكتشفت فيها النفط وكثير من المعادن، وقد تناولت الموضوع بمقال سابق، هذا وقد نقلت حكومة الصين عاصمة هذا الاقليم من كاشغر الى مدينة اخرى اسمها اورمكي.

والايغوريون هم من الشعوب التركية المسلمة، كبقية شعوب آسيا الوسطى، ويلتزمون بأحكام الاسلام، ولهم لغتهم الخاصة، ويعترف مؤلف كتاب «الصين» وهو «آلان ساما غيسكي» ان هذا الاقليم قد غزاه الصينيون وان اهلهم من الشعوب التركية، وان سبب طمع الصين فيه هو غناه بالموارد الطبيعية، علاوة على كونه البداية لطريق الحرير، الذي اشتهر في تاريخ العصور الوسطى وما بعدها (انظر الكتاب آنف الذكر ص ٧٥٩-٧٨٤).

والظاهر ان الايغوريين لهم علاقات وطيدة بإخوانهم من مسلمين الصين، رغم بعد المسافة، وقد شهد الدكتور سردار بعضهم في المؤتمر الاسلامي، غير ان بعد